

الحلقة الأولى

محرّض.. قاتل.. وشاهد

عند الحديث عن الموت، بكل أشكاله وحالاته، يقولون أن الموت يوجع الأحياء أكثر مما يوجع الموتى أنفسهم. وهو تعبير مجازي يشير الى أن رهبة الموت تكمن في أن الأحياء يتذكرون بشكل مكثف لحظة موت إنسان آخر، بأن مصير كل إنسان في النتيجة النهائية سيكون الموت. أما عن حقيقة شعور الميت بالألم أو عدم شعوره بذلك فتلك قصة أخرى نعلم عنها الكثير من الروايات والقصص الدينية التي تتحدث عن تفاصيل ما بعد الموت. لكن بالنسبة للفتاة (س)، وهي فتاة قتلت في **احدى محافظات** الضفة الغربية، فان هناك جبال كبيرة من الألم عايشت تفاصيلها وعاشتها منذ أُجبرت على الزواج حين كان عمرها أربعة عشر عاما، وخبرتها على إمتداد سنوات طويلة من قصة زواج إنتهت بالفشل، وختمتها بسنوات اخرى من العيش مطلقة في بيت أهلها وحيدة ومتهمة حتى في الهواء الذي تنفسه، وصولا الى ذلك السلك المعدني الذي إلتف حول رقبتها، وتحول من سلك موصل للكهرباء والنور، الى موصل الأحياء الى الموت.

في قصة (س) الكثير من التفاصيل التي تثير الفضول، مثلما تثير الاهتمام والبحث الجدي. لكن هناك أيضا عدد من العناوين التي يجدر التوقف عندها لتشكّل محاور رئيسية في سلسلة مناقشات موضوع قتل النساء. **المحور الأول** هو القاتل. لم يُكتب الكثير عن موقف القاتل في مثل هذه الحالات، ما هو شعوره الحقيقي وموقفه بعد القيام بجريمته كعنوان عام؟ وخاصة أنه من أقرب المقربين، وكان من المفترض أن يقوم على الدوام بتوفير الحماية والأمن والطمأنينة لهذه الفتاة، وهو والدها. وهو في كل الأحوال القاتل. ويمكن ان نطلق عليه، حسب إعتقادي، صفة أخرى أكثر دقة وتعبيراً، وهي القاتل أو الفاعل المباشر.

المحور الثاني هو الفاعل غير المباشر، الشاهد، هو كل إنسان حي صامت. سواء صمت على ألم ومعاناة (س) ولم يفعل شيئا لحمايتها، وهو الحد الأدنى. وكل إنسان عاش زمن القصة والموت ولم يفعل شيئا، ولا يزال. لا نعلم حقيقة هل تتألم روح (س) من هذا الصمت. لكن ما نعلمه أن هذا الصمت بحد ذاته سيكون في أية لحظة سببا لمعاناة روح أخرى لا تلبث أن تلحق بالفتاة (س) في قصة قد تشبهه، وقد **تختلف**، تفاصيلها عن تفاصيل قصتها، لكنها تتشابه معها في النتائج، على الأقل حتى اللحظة الفاصلة بين الحياة والموت.

بين القاتل والشاهد هناك طرف ثالث، وهو **المحور الثالث**. وربما هو بينهما تحديدا لأنه يتحمل عبء الجريمة من كلا الطرفين الآخرين، وبصورة مضاعفة. فهو لم يكن مجرماً بجريمة الصمت فقط، حيث كان متحدئا ولم يصمت، لكن المشكلة أن حديثه كان "كمن صمت دهرأ ونطق كفراً". وهو بهذا تحوّل الى مجرم حين شكّل حديثه مادة حقيقية ومؤثرة ودافعة للقاتل للقيام بجريمته. وهو بهذا شريك كامل في الجريمة.

وربما يكون أكثر من شريك، حيث أنه حرّض غيره على القتل، اي قتل، لكنه يفلت ليس من العقوبة فقط، وانما يحاول الإفلات حتى من اللوم.

تجمعت كل تلك العناصر في قصة الفتاة (س) التي أستبيحت حياتها، على يد والدها، مثلما أستبيحت حياتها ولا زالت تستباح روحها على يد شهود لا يترددون ولا يملون من الإستمرار في ممارسة نفس الدور، ويستمر صمتهم في قتل وإستباحة المزيد من الأرواح. أما أولئك المحرّضين فلا زالوا يمارسون دورهم. والسؤال الرئيس الذي زال يطرح نفسه، وربما يؤلم (س) ولكنه بالتأكيد سيؤلم غيرها من بعدها هو: لماذا يفلت الجاني من العقاب؟!

مركز المرأة للإرشاد القانوني والاجتماعي